الخَيلُ عند العَرب بين الوصفيَّة والمعياريَّة

Horses Among the Arabs between Description, and Norm.

阿拉伯人中的马在描述性和规范性之间

الدكتور/ ناصر محمد سعد العجمي

الأستاذ المساعد بأكاديمية سعد العبدالله للعلوم الأمنية

Naseer129@hotmail.com

تاريخ تسلم البحث : 2023/12/10

تاريخ قبول البحث : 2023/12/23

الملخص:

هذا البحث يتناول أهمية الخيل عند العرب في الجاهلية وكونها ركنًا رئيسًا في حروبهم وغزواتهم، ومرورًا بالعصور التي تليها، وربما لا نجد أمة اهتمت واعتنت بالخيل مثل اهتمام العرب بخيولهم؛ فقد فخرت القبائل العربية بخيولها وفرسانها؛ لأن كثرة الخيول والفرسان في القبيلة دلالة على قوتها وعظمتها.

فالفارس العربي كان يُقدِّس فرسه ويجعله بمثابة الرفيق والمأوى وكذلك المال والسلاح الحامي، و مكانة الخيل لم تقتصر على العرب فقط، بل للخيل مكانة مرموقة عند كل الشعوب والأمم، لذلك نجد أنّ نظرة شعوب الحضارات القديمة إلى الخيل نظرة تقديس وإكبار وإجلال، لأن كثيرًا منهم كان يعتقد أن الخيل مجلب للخير، ودفع للشر، وعليه تعددت صفاتها وأسماؤها ومظاهرها، وهذه المكانة التي حظيت بها الخيل بين الشعوب والثقافات كانت نتيجة للدور الذي تقوم به في حياتهم، مما دفع العرب للاهتمام بأنسابها والافتخار بها، فانعكس ذلك على الشاعر من خلال صوره وأخيلته التي سنتوقف عندها عبر هذه المباحث:المبحث الأوَّل: الخيل، المبحث الثاني: الخيل عند العرب، المبحث الثالث: أنماط التصوير للخيل.

الكلمات الدالَّة:

الخيل – الفارس – الثقافة– القبيلة – التصوير – الوجدان – الوصف.

Abstract:

This study discusses the importance of horses for the Arabs in the pre-Islamic period, as they were a key element in their wars and conquests. This importance continued throughout the following eras. Perhaps no other nation has cared for horses as much as the Arabs. Arab tribes took pride in their horses and horsemen, as the abundance of horses and horsemen in a tribe was a sign of its strength and greatness.

The Arab horseman revered his horse and made it a companion, a refuge, a source of wealth, and a protective weapon. The importance of horses was not limited to the Arabs only, but horses have a prestigious place among all peoples and nations. This is why we find that the ancient civilizations looked at horses with reverence, admiration, and respect. Many of them believed that horses bring good and ward off evil. This led to the proliferation of their qualities, names, and appearances. This status that horses enjoyed among peoples and cultures was the result of the role they play in their lives, which led the Arabs to be interested in their lineage and to take pride in them. This was reflected in the poet through his images and imaginations, which we will stop at through these sections: Section One: The Horse, Section Two: The Horse among the Arabs, Section Three: Patterns of Horse Representation.

Key Words:

Horse ,Knight ,Culture ,Tribe ,Representation ,Conscience, Description.

مقدمة:

مثَّلت الخيل عند العرب في الجاهلية ركنًا رئيسًا في حروبهم وغزواتهم، ومرورًا بالعصور التي تليها، وربما لا نجد أمة اهتمت واعتنت بالخيل مثل اهتمام العرب بخيولهم؛ فقد فخرت القبائل العربية بخيولها وفرسانها؛ لأن كثرة الخيول والفرسان في القبيلة دلالة على قوتها وعظمتها، كما ظهر هذا جليًا في إبداعات الشعراء ووصفهم لخيولهم، حيث إنَّ الفارس العربي كان يُقدِّس فرسه ويجعله بمثابة الرفيق والمأوى وكذلك المال والسلاح الحامي، و مكانة الخيل لم تقتصر على العرب فقط، بل للخيل مكانة مرموقة عند كل الشعوب والأمم، لذلك نجد أنّ نظرة شعوب الحضارات القديمة إلى الخيل نظرة تقديس وإكبار وإجلال، لأن كثيرًا منهم كان يعتقد أن الخيل مجلب للخير، ودفع للشر، وعليه تعددت صفاتها وأسماؤها ومظاهرها، وهذه المكانة التي حظيت بها الخيل بين الشعوب والثقافات كانت نتيجة للدور الذي تقوم به في حياتهم، مما دفع العرب للاهتمام بأنسابها والافتخار بها، وقد كانوا يعتقدون في نسب الخيل الرفيع، أنه يجلب الشرف والقوة والنصر في الحروب؛ لذلك تسابق الشعراء في ذكر هذه الأنساب والافتخار بها، وعليه آثرتُ أن يكون عنوان هذا البحث (الخَيلُ عند العَرَب بين الوصفيَّة والمعياريَّة) وذلك لعدة أسباب، منها:

– أن الخيل شغلت كثيرًا من الشعراء منذ العصر الجاهلي حتى الآن، ولها مكانتها في الشعر العربي. كما أنها بلغت أهمية كبيرة في جزيرة العرب، حيث إنها عندهم كالسيارة هذا اليوم، بل هي أهم منها عند العربي:" يركبها ويحارب عليها بسهولة وبسرعة لا تتوفر في الجمل ويستطيع أن يسابق بها الإبل، ويفر ممن يريد اللحاق به لشرٍّ ينويه تجاهه، حتى كان الرجل منهم يبيت طاويًا ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه وأهله وولده، فالخيل وقاية للنفس، والمعاقل التي يأوي إليها، والخير عندهم معلق بنواصي الخيل"(جواد 2001م، 65/10)

أهداف البحث:

التعريف بالخيل ومعانيها وأسمائها.

الوقوف على أوصاف الخيل والهدف من اقتنائها.

الوقوف على أهمية الخيل عند العربي.

إظهار مدى تأثير الخيل في شخصية العربي القديم.

الوقوف على كيفية تصوير العربي القديم للخيل في شعره.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث الاعتماد على منهجين من مناهج البحث، هما: المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي؛ للتمكن من رصد نشأة الخيل العربية عند العرب ومن ثم سبب اقتنائها، ثم وصف صفاتها وخصائها والتعرف على أسمائها.

خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة وثلاثة مباحث، أمّا المقدمة فتشمل الحديث عن الخيل ومعناها وأسمائها، والمبحث الأول يتحدث عن: أوصاف الخيل والهدف من اقتنائها، وكذلك أهميتها عند العربي، والمبحث الثاني: عرضتُ فيه معياريتها وأسس استخدامها، وكيف أثرت في وجدان العربي القديم، ثم المبحث الثالث: وقد خُصص للحديث عن أنماط التصوير للخيل. ثُمَّ زيَّلت البحث بخاتمة فيها أهمُّ النَّتائج، ومرفق بها قائمة المصادر والمراجع.

الخيل: معناها وأسماؤها:

اشتهرت أمة العرب بأنها أمة فروسية وخيل، وأنها ترتبط بالخيل ارتباطًا شديدًا، حيث إنهم يجدون في الخيل العزة والشرف، لذلك راحت تكرّمها وتفضلها على الأولاد والأهل، وتجعلها موضع افتخار في شعرها، وعليه وضعوا لها أسماء مقتبسة من بيئتهم التي يعيشون فيها؛ حتى يستطيعوا معرفتها وتمييزها، **وقد تعددت أسماء الخيل وخصائصها، وكذلك أنسابها"** وللخيل عندهم أسماء كثيرة وعددها مائتان وسبعة وأربعون"(نور الدين، ص40)، وما جاء في معاني الخيل أنها: " جمع مفرده: خائل، كطير وطائر، وقيل: اسم لا واحد له، من لفظ قوم ورهط، ويُجمع على أخيال، وسُميت خيلًا؛ لأنها موسومة بالعز، فمن ركبها اعتز واختال على أعداء الله" (أبو عبيدة ، 1358، ص24)، وسميت بالخيل أيضًا: لاختيالها في المشي، قال الأصمعي:" جاء رجل معتوه إلى عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو، لم سميت الخيل خيلًا؟ فقال: لا أدري، فقال: لكن أدري، قال: علمنا، قال: لاختيالها في المشي، فقال أبو عمرو لأصحابه بعد ما ولى: اكتبوا الحكمة وارووها ولو عن معتوه" (الزبيدي، ص221)، وأمّا عن أسماء الخيل فقد تعددت أيضًا عند العرب، ومنها:" الأبجر، الأدهم، الأشقر، الأشهب، أعوج، الصافنات، ابن النعامة، الخيل العتاق، الخيل الهجين" (نور الدين ، صـ 38 وما بعهدها)، وأحيانًا نجد أنّ أسماء بعض الخيول في الجاهلية عُرفت بشدة عَدوها فلا تدانيها في العدو خيول أخرى، وفي مقدمتها فرس عرف ب" زاد الركب" " زاد الراكب"، قالوا: إن أصل فحول العرب من نتاجه، وقد زعم ابن الكلبي أنه من بقية جياد سليمان بن داود، وأن وفدًا من" الأزد"، وكانوا أصهاره، وفدوا عليه، فلما فرغوا من حوائجهم سألوه أن يعطيهم فرسًا من تلك الخيل، فأعطاهم فرسًا كانوا لا ينزلون منزلًا إلا ركبه أحدهم للقنص، فلا يفلته شيء وقعت عينه عليه من ظبي أو بقر أو حمار، إلى أن قدموا بلادهم فقالوا: ما لفرسنا هذا اسم إلا زاد الراكب، فسموه زاد الراكب، فأصل فحول العرب من نتائج، واشتهر فرس آخر بسرعته وبشدة عدوه اسمه " أعوج"، زعم أنه من نسل" زاد الراكب"، وقيل: إنه كان سريعًا جدًّا لا يدانى في العَدْو، وكان فحلًا لغني بن أعصر. وقد عرف ب" أعوج الأكبر" (ابن عبد ربه ،1404هـ ، ص184)

ومن خيل العرب المشهورة:" الغراب" و" الوجيه" و" لاحق" و" المذهب" و" مكتوم"، كانت كلها لغني (الزبيدي، 26/7).

وذكر أن " الوجيه" و" لاحق" لبني أسد وقيل: لبني سعد و" الأعنق" فحل من خيل العرب، أنجب سلالة نسبت إليه عرفت ب" بنات أعنق" (الزبيدي، 26/7)، أيضًا من خيل العرب الشهيرة" قيد" و" حلاب" لبني تغلب، و" الصريح" لبني نهشل، وزعم أنه كان لآل المنذر، و"جلوى" لبني ثعلبة بن يربوع، وذو العقال لبني رياح بن يربوع، وهو أبو" داحس"، وكان" داحس" و" الغبراء" لبني زهير، والغبراء خالة داحس وأخته من أبيه، و" ذو العقال" و" قرزل" و" الخطَّار" و" الحنفاء" لحذيفة بن بدر، والحنفاء هي أخت داحس من أبيه وأمه، و" قرزل" آخر للطفيل بن مالك. و" حذفة" لخالد بن جعفر بن كلاب، وحذفة أيضًا لصخر بن عمرو بن الشريد، و" الشقراء" لزهير بن جذيمة العبسي، و" الشقراء" أخرى لأسيد بن حناءة السليطي، و" الشيط" لأنيف بن جبلة الضبي، و" الهداج" فرس الريب بن شريق السعدي، و"جزة" فرس يزيد بن سنان المرّي فارس غطفان، و" النعامة" للحارث بن عباد (ابن الكلبي، ص64 وما بعدها)، وفي حرص العربي وتشدد في المحافظة على أنساب الخيل وعدم الخلط بين سلالاتها دليل على مكانة هذا الكائن في حياة الناس" وقد مدح العرب الخيل الأصيلة التي لم يختلط دمها بدم غريب، وقد مدحت الخيل الشقر، وذلك لسرعتها، ومدحت بعدها الحصان الأدهم الأرثم المحجل المطلق اليد اليمنى، وقيل للخيل الكريمة الأصيلة" العتاق من الخيل" و" الخيل العتاق" وكان العرب" لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ، أو فرس تنتج " (ابن رشيق، 1963م، ص65).

وفي العصر الإسلامي نجد للخيل مكانة لا تقل عن مكانتها في العصر الجاهلي فقد كان لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- " خمسة أفراس: الظرب ولزاز والسكب والمرتجز، وإنما سُمي المرتجز لحسن صهيله، وكان له عليه السلام: اللحيف، وكان السكب كميتًا أغر محجلًا مطلق اليمنى، ولعله حري بنا هنا أن نذكر بعض أبيات الشعر التي ذُكرت فيها أسماء الخيل التي وردت في شعر شاعر العرب الأول، عنترة بن شدَّاد، وقد جاء منها في شعره ما يلي:

1- الأبجر:

وهو فرس عظيم البطن، وفيه قال عنترة: (عنترة، 1893، ص34)

كم مهمة قفر بنفسي خضته ومفاوز قفر جاوزتها بالأبجر

2- الأدهم:

الفرس الشديد السواد، وقيل القوي قوة الأسود، يقول أيضًا: (عنترة، ص83)

يَدْعُونَ عنترَةَ والرمَاحُ كأَنَّها أشطان بئر في لبانِ الأَدهم

3- الأشقر:

وهو الفرس الذي لونه بين الحمرة والصفرة.

4-الأشهب:

فرس لونه أبيض تخلله سواد، ويراد به القوة، وفيه يقول الشاعر: (عنترة، ص24)

من كل أدهم كالرياح إذا جرى أو أشهب عالي المطا أو أشقر

ومن فرسه أيضًا، الأعوج، والورد والصَّافنات، وابن النعامة، والخيل العتاق، والخيل الهجين. (نور الدين، ص45)، وقد ذكرت كتب أنساب الخيل مجموعة من خيل تغلب، تتبعتها في مظانها، وجمعتها، وسأوردها مرتبة على حروف المعجم:

-جلوى:

وهي أم داحس (ابن الكلبي: ص 24)

-حلاَّب:

وهي من نتاج أعوج (ابن الكلبي: ص 42)، وفيها يقول الأخطل: الأخطل، ص368)

نكرّ بناتِ حلاَّبٍ عليهم ونزجرهن بين: هلًا وهابِ

-حُميزة:

فرس شيطان بن مدلج الجشمي (الميداني،1955، ص 380)، وبشؤمها يضرب المثل، فيقال: أشأم من حميزة".

-الخذواء:

من نتاج أعوج (لابن الكلبي: 45، الغندجاني: 85)

-خرُّوب:

فرس ابن النعمان بن قريع التغلبي، وفيه يقول (الصغاني،1970، ص113)، (الزبيدي : خرب)

كأن غرَّة خرُّوبٍ إذا طلعت يوم الرهان جبينُ البدر في الظُّلمِ

وغير ذلك الكثير من الأسماء، وكان لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- فرس يقال له: ذو اللمة، وكانت لجعفر بن أبي طالب فرس أنثى شقراء يقال لها: سبحة، استشهد عليها- رحمه الله-، يوم مؤتة، عرقبها فهي أول فرس عرقبت في الإسلام، ويقال: إن الخوارج إنما تعرقب لذلك" (ابن الأعرابي، ص26 وما بعدها)، وهذا ولم يكرم دين من الأديان السماوية الخيل إكرام الإسلام لها حيث فضل الله الخيل على سائر الأنعام، فقد ذكر الله تعالى الخيل في القرآن الكريم في أكثر من موضع وأكثر من مناسبة تنويها بها، ولفتا إليها ورفعا لقدرها على غيرها من الحيوانات الأخرى، باعتبارها نعمة كبيرة من نعم الله عز وجل على عباده.

وأمر الله سبحانه وتعالى بالاهتمام بالخيل واقتنائها للاستفادة منها في جوانب عديدة وجعلها عزا وقوة ونصرا للمجاهدين في سبيله. وقد وردت أحاديث كثيرة في الخيل كلها تحث على تكريمها وارتباطها والعناية بها والدعوة إلى تناسلها للإكثار منها والحفاظ عليها، فقد حث الرسول (ص) على اقتناء الخيل، وكان أول من اقتنى الخيل في الإسلام لنشر الدين ومقاتلة الأعداء وإرهاب المشركين، كما نهى صلى الله عليه وسلم أصحابه عن جز أعراف الخيل إكراما لها ورفقا بها، ولأن ذلك من شأنه التأثير عليها فتصعق، فعن عتيبة بن عبد السلمى، أنه سمع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول :" لا تقصوا نواصي الخيل، ولا معرفها ولا أذنابها، فان أذنابها مذابها، ومعرفها دفؤها، ونواصيها معقود فيها الخير (الأشعث، حديث رقم (2544).

ومن دلائل عناية الجاهليين بالخيل ما نجده في اللغة من ألفاظ وكلمات كثيرة تخص الخيل، تخص أسماءها وأسماء أعضاء جسمها وحركاتها وسكناتها وأوصافها وألوانها، حتى إنهم لم يتركوا شيئًا له علاقة بها إلا ذكروه. فلا عجب إذن إذا ما ألفوا فيها الرسائل والكتب وتحدثوا عنها حديثًا طويلًا في الجاهلية وفي الإسلام (ابن الأعرابي، صـ 50)

المبحث الأوَّل: الخيل:

- **الهدف من اقتنائها.**
- **أوصافها .**
- **أهميتها عند العربي.**

أولًا: الهدف من اقتناء الخيل عتد العرب:

لم يكن اهتمام الإنسان العربي بالخيل من أجل الزينة أو التفاخر، وإنما كانت الخيل وسيلتهم إلى العزة والنصر، حيث إنّ العربيّ صمود بطبعه ذو عزة شامخ، محارب مقدام، وهذا يرجع إلى ظروف حياته وطبيعة بيئته، وامتلاكه الفرس الأصيل هذا يعني الفوز والغلبة في حروبه ومعاركه، سواء كان غازيًا أم في حالة مدافعًا، ولم يكن اهتمامهم بأنسابها لصيانة صفاتها المتوارثة بأقل من عنايتهم بها، حتى كان حفظ أنسابها من الأمور التي قل أن يجهلها فيهم حد، لا يقتصرون في ذلك على معرفة الآباء خاصة، كما هو شأنهم في أنسابهم، بل إن اهتمامهم بأمهات الخيل لا يقل عنه في الآباء لما لهن من دور في نقل صفاتهن المحمودة كذلك إلى الأبناء، وكل هذا محفوظ في التراث العربي.

وقد بعث الله نبيه- عليه السلام- فأمره الله باتخاذها وارتباطها، فقال:" **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**" (سورة الأنفال، الآية 60). يتبين من الأمر الإلهي في الآية الكريمة أن الخيل سلاح من أسلحة الحرب يخيفون بها عدوَّ الله وعدوهم من المشركين. أيضًا من أسباب اقتناء العربي للخيل أنها مصدر الخير، روى البخاري في حديث رقم(2852) ، ومسلم حديث(1873) عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الجَعْدِ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي

نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ : الأَجْرُ وَالمَغْنَمُ". وإذا كان العربي بحاجة إلى الأكل والشرب، يسعى وراءهما، يطوي الصحراء طيًا، فإن حاجته إلى الخيل لم تكن بأقل من ذلك، فهي عماد حياته، ليس للتنقل فحسب، وإنما لشن الغارة، ورد العدوان، ومن هنا كان اهتمام العرب بخيلهم، وعنايتهم بتربيتها وحسن إعدادها، وانبرى الشعراء يذكرونها بأسمائها، فحمزة بن عبد المطلب مثلًا يذكر فرسه (ورد) مشيرًا إلى عتقه وكرمه وأنه من بنات ذي العُقَّال. (ابن الكلبي، 1965، ص20)، فيقول:

ليس عندي إلا سلاح و(ورد) قارح من بنات (ذي العُقَّال)

أتقي دونه المنايا بنفسي وهو دوني يغشى صدور العوالي

بل إن فرسان العرب ربطوا فروسيتهم بأسماء الخيل في كثير من الأحيان، فالأخنس بن شهاب التغلبي "فارس العصا" و" فارس زِيَم وحسان بن حنظلة الطائي " فارس الضُّبيب" وعامر بن ربيعة بن صعصعة" فارس الضحياء، وفيه يقول أحد الشعراء (التاجي،1981، ص 102)

أبي: فارس الضحياء يوم هُبالة إذا الخيل في القتلى من القوم تعثر

والأبيات التي قالها عبيدة بن ربيعة بن قُحفان التميمي في فرسه (سكابِ) هي من أجمل ما عبرت به الشعراء عن حب العربي للخيل، وتعلقه بها، ومكانتها في نفسه، يقول (الغندجاني، ص: 124)

أبيتَ اللعن إن سكابِ ليست بعِلق يُستعارُ ولا يباعُ

سليلة سابقينِ تناجلاها يضمُّهما إذا نُسبا الكُراعُ

ففيها عزة من غير نفر يُحيِّدها إذا مرّ القراع

فلا تطمع، أبيتَ اللعنَ، فيها ومنعُكها بوجهٍ يُستطاع

وكفِّي يستقلُّ بحمل سيفي وهي ممن تهضَّمني امتناع

وحولي من بني قُحفان شيبٌ وشبَّان إلى الهيجا سِراع

ولم يكتفِ الشعراء في اهتمامهم بالخيل عند هذا الحد، بل راحوا يدققون النظر في أحوالها، فوصفوها أيما وصف، وتتبعوا دقائق جسدها فصوروها في أشعارهم صورًا تدل على مدى تعلقهم بها، حتى إن بعض الشعراء قصر شعره- أو معظمه- على ذكر الخيل، وتتبُّع أوصافها في جميع أحوالها. وما شعر أبي دواد الإيادي، وطفيل الغنوي وامرئ القيس الكندي، عنا ببعيد.

ولعلنا نلاحظ أن العرب ساووا الخيل بأنفسهم، أو كادوا، فأطلقوا عليها الأسماء، وحفظوا أنسابها، وذكروا علامات عتقها وكرمها ونجابتها، ليدلوا على عظم مكانة الخيل عندهم وأهميتها لهم. وقد جُمع عدد غير يسير من الكتب التي انبنت على ذكر أسماء الخيل وأنسابها، وليس الأمر هنا مرهونًا بصدق ذلك أو كذبه، وإنما بدلالته وما ينبني عليه.

ويكاد يكون اهتمام عمرو بن كلثوم بالخيل أكثر من سواه من شعراء الجاهلية، لأنه السيد القائم على شؤون القبيلة أولًا، ولأنه الشاعر، وإذا التمسنا لذلك دليلًا في شعره، ألفيناه يعدُّ للخيل أثمانها قبل أن يعدَّ ذلك لقوتهم اليومي، فهو يقول: (عسيلان 1981، 1الجزء الأول، ص257)

فما أبقت الأيامُ منِ المالِ عندنا سوى جذمِ أذوادٍ محذّفةِ النسل

ثلاثة أثلاث: فأثمان خيلنا، وأقواتنا، وما نسوق إلى القتلِ

كما أنه يجعل الخيل إرثًا عظيمًا يحرص الآباء على نقله للأبناء، ويفخر الأبناء بمحافظتهم عليه، يقول في المعلقة:

وتحملُنا غداة الروعِ جردٌ عُرفن لنا نقائذَ وافتَلينا

وردن دوارعًا وخرجن شُعثًا كأمثال الرصائع قد بَلينا

ورثناهنَّ عن آباء صدقٍ ونورثها– إذا متنا– بنينا

ولعلنا نجد اهتماما بالخيل مشابهًا لاهتمام عمرو عند مهلهل أيضا، فعندما حاول بعض البكريين أن يخيّره بين أن يبيع خيله بالمعزى والغنم، أو أن يرحل بقومه عن المرعى، أنف مهلهل من ذلك، وآثر الرحيل، وإن كان الهلاك فيه، وقال: (محمد بن إسحاق، ص 98)

أنِفَت أبناؤنا من فعلنا أن نبيع الخيل بالمعزى اللجاب

ثانيًا: أوصافها:

تتميز الخيل عند العرب بصفات وخصائص كثيرة جعلتها تحظى بدراسات كثيرة تذكر أوصافها، وقد ظهر ذلك في أشعار شعرائهم وقد جاء وصفهم لها وصفا ظاهريا عاما، يخدم ما كانوا يرمون إليه من فخر عند ذكر الخيل في أشعارهم، وهي خيل حرب وغارة، وارتبط وصفهم لها بهذه الحالة في الغالب، فها هو عمرو بن كلثوم يقول: (عمرو بن كلثوم، 12)

أقيس بن عمرو غارة بعد غارة وصُبَّة خيل تُحرِبُ المال والنعمْ

إذا أسهلت خبَّت وإن أحزنت وجَّت وتحسبها جِنًّا إذا شالت الجِذم

وأفنون التغلبي يغير على هوازن بتلك الخيل:

سَمَونا إلى عليا هوازن بالقنا وجُردٍ كأمثال القِداح ضوامرِ

والسفَّاح التغلبي يفخر بحسن بلائه وقيادته لتلك الخيل فيقول: (الشمشاطي، 265-267)

وإنك لو أبصرتني يوم صبَّحت هوازن أمثال السَّراحين ضُمَّرُ

أعرّضها للطعن في كل غمرةٍ فتسلمُ أحيانًا وحينًا تُعقَّرُ

لأقينت أني فارس الخيل والذي إليه العوالي والصفيح المذكَّرُ

وأبرز الصفات التي وقف عندها شعراء العرب هي صفات ظاهرية عامة، وتتعلق بجسد الخيل العام في الغالب. فخيلهم "مضمرة كالقداح"، و"قُبّ شوازب"، "وجرد كالقداح مسومات". ونظروا إليها وهي مغيرة فوصفوها وصفًا سريعًا يتناسب وتلك اللحظة الحرجة التي يلتفت فيها الشاعر إلى المعركة أولًا وآخرًا، فالسفّاح التغلبي رأى الخيل" قُبًا" فقط (العدوي ، 257)

جلبنا الخيلَ من قنوين قبًا فأوردنا نواصيها حُنينا

وأبو اللحام التغلبي يراها "جردًا كالقداح" و" شوازب محلسات": (أبو عبيدة، ص 458)

وجردٍ كالقداح مسوَّمات شوازب محلساتٍ باللُّبودِ

وقد تنبه بعض الشعراء على هيئة الخيل وهي تدخل المعركة وتخرج إلا أن وصفه يقف عند ذكر يبيس الماء، دون أن ينتقل إلى صورة فنية يوحيها إليه ذلك اليبيس، حيث رأى طفيل الغنوي مثلًا هذا اليبيس " أشارير ملح"، فقال:(طفيل الغنوي، 1968، ص 24)

كأن يبيس الماء فوق متونها أشاريرُ ملح في مباءة مُجربِ

ويصف الخيل مرة أخرى وهي في حومة الوغى فيراها تخوض في الدم: (الأخفش الأصغر، 1984، ص 184-188)

والخيل يغبرن الخبارَ عوابسًا وعلى سنابكها سبائب من دم

أما السفاح فيصور الدماء في المعركة وقد غيرت لون الخيل، فيقول (العدوي،258 -260)

وضربت في أبطالهم فتجدَّلوا وحملتُ مهري وسطها فحماها

حتى رأيت الخيل بعد سوادها كُمتَ الجنودِ خُضبنَ من جرحاها

ويرتفع أفنون بالخيل إلى مستوى الإنسان ذي المشاعر والأحاسيس، الذي يفرح ويتألم ويحزن ويشكو، فيجد في حمحمة الخيل- وقد طال سيرها- شكوى وألما، فيقول:

سَمَونا إلى عُليا هوازن بالقنا وجُردٍ كأمثالِ القداح ضوامرِ

تئنُّ أنين الحاملات وتشتكي عَجاياتِها من طول نكب الدوائر

فما زال ذاك الدأب حتى صبحتها　　على ما بها من جهدها أهل حاجر

ومثل هذا الوصف نجده في شعر ابن قوزع الكسري وهو يذكر غارة علقمة بن سيف التغلبي يوم(سفح مُتالع) على بني تميم، فيقول (العدوي، ص166-167)

أصاب بها شهرًا على كل علةٍ　　لها من تشكيها أنين وحمحمهْ

وإذا كان فرس عنترة يرد عنه كثيرًا من الطعن والضرب، فإن شيطان بن مدلج التغلبي فعل خلاف ذلك، إذ جعل نفسه دريئة دون فرسه. (الأصبهاني،1971، 239/1):

وكنتُ لها دون الرماح دريئة　　فتنجو وضاحي جلدها ليس يكلم

هذه أبرز الجوانب التي تناولها شعراء الجاهلية، في العصر الجاهلي، في وصف الخيل، وهي خيل حرب وغارة، كما سلف، ولم يصفوها إلا في تلك الحالة، وفي معرض فخرهم بفروسيتهم وبطولاتهم، ولم يذكروها في المراعي آمنة إلا مرة واحدة في شعر الأخنس بن شهاب، وفي معرض الفخر بالقوة والمَنَعة أيضًا، إذ يقول (الضبي، 1964، ص 204:208)

ونحن أناس لا حجاز بأرضنا　　مع الغيث ما نُلفى، ومن هو غالب

وأكد جانب الفخر في هذه الأبيات المرزوقي فقال: "المراد أن ما يرتبطونه من المال ويقتنونه من الخيل، لا الإبل والغنم، وأنها تختلف فيما بين بيوتهم لكثرتها، لأنهم غزاؤون وأرباب غارات (المرزوقي، ص 725)، فالعلاقة بين العرب وبين الخيل صداقة عمرها تمتد إلى ثلاثة آلاف وخمسمئة عام حين تم استئناس الخيل في هضبة نجد أول مرة في تاريخ البشرية، ولأن العرب بطبعهم فرسان فقد منحوا هذه المخلوقات المدهشة عدة أسماء من بينها (الفرس) لأنهم سرعان ما اكتشفوا – بذكائهم الفطري – أنها خير صديق للفارس، وخير رفيق في المعارك، فأحبوها وأكرموها.. ومن عادة الكرام الاحتفاء بالكرام..

إنّ علاقة العرب والخيول ومع طول التجربة في السلم والحرب، هذا جعلهم يتفنون في أوصاف الخيل (الحصان العربي)، وعليه وجدوا فيه وفاءً نادرًا، وذكاءً ظاهرًا وصبرًا جميلًا، والعرب أهل وفاء وذكاء وصبر فاقتربوا من الخيل أكثر، والتصقت بهم الخيل بشكل واضح، حتى سار اسم (الحصان العربي) في أنحاء الدنيا، وعمّ الأرض من أقصاها إلى أقصاها، وصار أوضح رمز للفروسية والجمال والوفاء والشجاعة والشهامة، ومنه نجد الحصان العربي يقف مع صاحبه في أشد المواقف وأعنف المعارك ويفديه بنفسه حتى ينقذه. والعربي يبادل حصانه الوفي بمثل تلك الخصال النبيلة، وأكثر، فهو يكرمه ويقدمه على عياله، ويتفقده ليل نهار، ويناجيه ويفهم كل منهما لغة صاحبه، ويساعده في تحقيق مآربه، لقد دهش الفارس العربي لنجابة الحصان، ومشاكلته خصال الفرسان فاعتبره نِعم الصديق.

كل هذه الأسباب خلقت عشق العرب للخيل.. وأكثروا فيها الوصف ومجَّدوها، وأحبوها، واعتبرها عزًا وعزوة، وفخرًا وقوة، وكنزًا وثروة، قالوا فيها روائع الأشعار في القديم والحديث، وبالشعبي والفصيح، وهي أشعار نابعة من صميم الوجدان، والوجدان العربي لا يمنح مشاعره إلا لمن يستحقها، فالعربي شامخ الشعور، أصيل الحس، فشعرهم فيه مزيج من الفخار والاعجاب قد يصل لحد الغزل.

ومن الشعراء الذين نظموا الأشعار متغنين بوصف الخيل امرؤ القيس، فقد خصص في معلقته 18 بيتًا لوصف حصانه القوي السريع وهو يمتطيه في الصباح الباكر قبل أن تصحو الطيور من نومها ذاهبًا لرحلات الصيد مستمتعًا بركوب ذلك الحصان الذي يسير بسرعة خاطفة لدرجة أن الوحوش البرية السريعة يراها كأنها مقيدة لا تسير. ويشبه سرعته بالصخرة الضخمة المنحدرة من أعلى الجبال. واستمر بوصف حصانه وهو يطارد أسراب البقر الوحشية التي لا تستطيع الفرار من ذلك الحصان السريع. وقد أعجب النقاد والرواة بتلك الأوصاف والصور الشعرية الراقية وعدّوها من عيون الأدب العربي. وفي ذلك يقول: (امرؤ القيس، 1984، ص 46)

قَد أَغتَدي وَالطَيرُ في وُكُناتِها ... بِمُنجَرِدٍ قَيدِ الأَوابِدِ هَيكَلِ

مُكِرٍّ مُفِرٍّ مُقبِلٍ مُدبِرٍ مَعاً ... كَجُلمودِ صَخرٍ حَطَّهُ السَيلُ مِن عَلِ

كُمَيتٍ يَزِلُّ اللِبدُ عَن حالِ مَتنِهِ ... كَما زَلَّتِ الصَفواءُ بِالمُتَنَزَّلِ

مسحٍّ إذا ما السابحاتُ على الونى ... أثرنَ غباراً بالكديد المركل

على العقبِ جيَّاش كأن اهتزامهُ ... إذا جاش فيه حميُه غَليُ مِرْجلِ

يطيرُ الغلامُ الخفُّ على صهواته ... وَيُلْوي بأثْوابِ العَنيفِ المُثقلِ

وباتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ وَلجامُهُ ... وباتَ بعيني قائماً غير مرسل

فألحَقَنا بالهادِياتِ وَدُونَهُ ... جواحِرها في صرة لم تزيّل

فَعادى عِداءً بَينَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ ... دِراكاً ولم يَنْضَحْ بماءٍ فيُغسَلِ

يصف امرؤ القيس فرسه الذي خرج به صباحًا من أجل الصيد، فقد استطاع أن يخرج قبل غدو الكير وهذا يدل على مهارة فرسه وسرعته الشديدة التي سابقت غدو الطير، كما أنّ هذا الفرس في قوته يشبه قيد الأوابد، واعتمد في وصف فرسه على الألوان البيانية التي تزيد المعنى والوصف وضوحًا وجمالًا، ومن هذا قوله: بمنجرد قيد الأوابد، وهنا تشبيه للفرس بقيد الأوابد مما يدل على السرعة والشدة معًا، وهذا البيت يعكس صفة الفروسية للشاعر امرئ القيس، وكأنه يريد أن يقول: بجانب هذا الفرس الشديد القوي فارس مغوار، فلا يستطيع قيادة هذا الفرس إلا بطل وفارس مثله. ويقول عنترة بن شداد في وصف الخيل: (عنترة، ص 65)

وَالخَيلُ في وَسطِ المَضيقِ تَبادَرَت ... نَحوي كَمِثلِ العارِضِ المُتَفَجِّرِ

مِن كُلِّ أَدهَمَ كَالرِياحِ إِذا جَرى ... أَو أَشهَبٍ عالي المَطا أَو أَشقَرِ

فَصَرَختُ فيهِم صَرخَةً عَبسِيَّةً ... كَالرَعدِ تَدوي في قُلوبِ العَسكَرِ

وَعَطَفتُ نَحوَهُمُ وَصُلتُ عَلَيهِمُ ... وَصَدَمتُ مَوكِبَهُم بِصَدرِ الأَبجَرِ

وَطَرَحتُهُم فَوقَ الصَعيدِ كَأَنَّهُ عجازُ نَخلٍ في حَضيضِ المَحجَرِ

يعدد الشاعر في الأبيات من أسماء وصفات الخيل؛ حيث يذكر الأدهم والأشهب، والأشقر، ويصفها بالقوة والسرعة التي جعلتها كالرياح في الاقتحام وخوض المعركة، معتمدًا في ذلك على التشبيه التمثيلي، حيث إنّ فرسه الأبجر الذي يركبه صدم موكب العدو بقوته وسرعته وصهيل صوته المرعب في ميدان المعركة، مما جعله يطرحهم أرضًا قتلى كجزوع النخل لا حركة لهم.

وفي العصر الإسلامي نجد حسّان بن ثابت يصف الخيل وقوتها في ميدان المعركة قائلًا: (حسّان بن ثابت، 1994، ص19)

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء

يبارين الأعنة مصعدات على أكتافها الأسل الظماء

ظل جيادنا متمطرات تلطمهن بالخمر النساء

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء

في هذا الأبيات يصف حسّان بن ثابت قوة خيل المسلمين في المعركة، ففي قوله يبارين الأسنة: كناية عن سرعة الخيل واستعدادها للقتال؛ لأن الخيل معروفة بسرعتها، ولم يقتصر على ذكر الصفة فحسب بل جعلها السرعة متصاعدة، يصفها بأنها تزداد سرعة كلما اقتربت من العدو ودخلت غمار المعركة، متحفزة لقتال العدو، على أكتافها رماح المسلمين المتعطشة لدماء الكفار. وهوَّل في وصفها؛ ليخيف العدو. ثم يقول تبقى خيولنا في أرض المعركة مستعدة لقتال الأعداء مسرعة كالمطر في مواجهتهم، لكنها لا تجد من تردها سوى نساء الأعداء يحاولن ردها بخُمورهن دلالة على هزيمة المشركين وهروبهم من أرض المعركة. يخاطب الشاعر كفار قريش قائلا إذا لم تعترضوا طريق خيولنا وأخليتم لها الطريق.

ولم يقتصر أمر وصف الخيل على العصر الجاهلي والإسلامي فقط، وإنما تتابع الشعراء على مر العصور المتلاحقة بنظم الأشعار في وصف الخيل، ففي العصر العباسي نجد ابن نباتة يقول في وصف الخيل: (نباتة، ص50)

وأَدهمَ يستمدُ الليلُ منه وتطلُع بين عينيه الثُّريَّا

سرى خلفَ الصباحِ يطير مَشياً ويطوي خلفه الافلاكَ طَيَّا

فلما خافَ وشكَ الفوتِ منه تشبثَ بالقوائمِ والمُحَيَّا

تظهر من الأبيات صفات الخيل التي يضفيها ابن نباتة على فرسه، فهو يذكره باسم من أسمائه وهو(الأدهم) والحصان الأدهم شديد السواد؛ لأنّ كلمة الأدهم في الأصل تعني السواد الحالك، وتشتد خضرته حتى يصفى سواده كما يُعد الأدهم أشد الخيول سواداً وأصفاها شعراً ولوناً، وتسمى أُنثى الحصان الأدهم دهماء ويستخدم لصيغة الجمع دهم ودهمان، وهو من الخيول العربية الأصيلة فهي معروفة بأصالتها وقوتها، وهذا جعل الشاعر يقول: يستمد الليل منه، لما يتمتع به من السواد الحالك، فالليل يؤخذ من ذلك الفرس الأدهم، يثم يصفه بالقوة والسرعة في قوله(يطوي الأفلاك طيّا).

ويقول البحتري في وصف الخيل: (البحتري، ص2417)

تنحط فيها وفود الماء معجلة كالخيل خارجة من حبل مجريها

في هذا البيت تشبيه، يشبه فيه الشاعر المياة المنصبة في البركة، و يشبهها بالخيل التي تُركت حبالها فانطلقت بأعلى سرعة، ووجه الشبه صفة (السرعة)، والبحتري شبه المياه بالخيل وليس بشئ آخر؛ لأن الخيل ملازمة لها صفة السرعة، وكذلك صفة الخير عند العرب، وقد قال النبي الكريم " الخيل معقود في نواصيهاالخير".

ثالثًا: أهميتها عند العربي:

لازمت الفرسُ العربي منذ أن عرفته أرض الجزيرة العربية" وتؤكد المصادر القديمة والدراسات الحديثة أن الفرس أصيل في شبه الجزيرة العربية، لم يفد إليها من خارجها كما يدّعي بعض الدارسين، حيث يزعم أن الحصان الأصلي نشأ خارج الجزيرة، ثم أُدخل إلى فلسطين وسورية من الشمال الغربي لبلاد العراق، فالخيل الأصيلة نشأت في جزيرة العرب فوق هضاب نجد ومنطقة عسير اليمن، تلك المناطق التي كانت ومازالت من أخصب وأطيب المناطق، وأكثرها ملاءمة لتربية الجياد استنادًا إلى الأدلة العلمية التي قدمتها أحدث الكشوف الأثرية"(الغُندجاني،1981، ص13: 14) وقد لمس العربي للفرس دوره الكبير في حياته ومصيره" حتى غدا جزءًا من وجوده الإنساني الكريم، يُصاول به الأخطار، ويدفع عنه غائلتها، فغدا صنوًا للقوة البشرية في سواعد الأبناء وألسنة الشعراء الحداد، فكان العرب لا يُهنئون إلى بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج" (الغُندجاني، ص15)

وكان العربي يعتني بفرسه اعتناء كبيرًا لا يقل عن أبنائه، بل قد يهتم بفرسه أحيانًا أكثر من أبنائه، وفي ذلك يقول مهلهل الطائي: (حلية الفرسان، ص159)

أقرّب مربط الهطّال إني أرى حربًا تُلقح عن جيال

أسوّيه بمكنف إذ شتونا وأوثره على جل العيال

وقد نجده أحيانًا يقدر فرسه أكثر من محبوبته، مهما كان عشقه لها وتعلقه بها، حيت تصير فرسه مهرًا، وأحيانًا قد يضحي بحياته لتبقى فرسه، وفي ذلك يقول ثعلبة بن أم حزنة العبدي في فرسه عَريب(الغنداجي، ص194)

إنّ عريبًا وإن ساءني أحبّ حبيب وأدنى قريب

سأجعل نفسي له جُنة بشاكي السلاح نهيب أريب

وكم ثارت نوازع النقمة والاستياء لدى نسوتهم، وغلت صدورهن مراجل الحقد مشوبة بالغيرة؛" لما يرونه من مبالغة الرجال في العناية بالأفراس، وكم تعالت صيحاتهن مطالبة برد الغذاء على الأبناء، والانتفاع بأثمان الخيل الباهظة في توفير حاجات الأسرة، فكان الرجال يوصدون آذانهم حيال هذا، ولا يقبلون بصنيعهم جدلًا، وحجتهم في ذلك تتردد بين التذكير بأيام الشدة والتعرض للغزو والسباء، وبين تعلق الفارس بفرسه، وربما جمع بينهما، ويعبر المقعد بن شماس السعدي عن ذلك قائلًا عن فرسه كنزة: (الغنداجي، ص17)

أتأمرني بكنزة أم قشع لأشتريها فقلت دعيني

فلو في غير كنزة آمرتني ولكني بكنزة كالضنين

فلا وأبيك لا أحبو خليلًا بكنزة ما حييت فلا تهوني

كل هذا يبين لنا أنّ الخيل لعبت دورًا حاسمًا في الحروب التي خاضها العرب على مر العصور، لأنها كانت تسمح بنفاذ سريع وهجوم مفاجئ على الأعداء، مما جعلها أحد أهم أسلحة العرب في القتال، بالإضافة إلى ذلك، تطورت فنون الفروسية لتصبح رياضة مهمة في العالم العربي، ولا تزال السباقات والمسابقات الفروسية تحتفظ بشعبية كبيرة حتى اليوم، أيضًا تمثل الثقافة والتقاليد؛ لأن الخيل جزءٌ أساسي من التراث والتقاليد العربية، فهي تُعَبّر عن قوة وجمال وفخر العرب، ولها مكانة خاصة في الشعر والأدب العربي، كما أن هناك العديد من المهرجانات والمناسبات الاجتماعية التي تتضمن استخدام الخيل في الاحتفالات والعروض التقليدية، ونستطيع القول بأن ارتباط العربي بالخيل له أسباب أخرى مثل: الاقتصاد والتجارة: حيث تمثل تربية وتدريب الخيول مصدرًا للدخل المهم للعرب، يتم تصدير الخيول العربية النبيلة إلى مختلف أنحاء العالم، وهذا يساهم في تعزيز الاقتصاد الوطني وزيادة الإيرادات، وعليه فإنّ الخيل جزءٌ لا يتجزأ من الهوية العربية والتاريخ الثقافي للعرب، لأنها تمتد علاقتهم بها لآلاف السنين، و تظهر هذه الأهمية في العديد من جوانب الحياة اليومية والتقاليد والقيم العربية.

المبحث الثاني: الخيل عند العرب:

- **معياريتها واستخدامها.**
- **كيف أثرت في وجدان العربي.**

الخيل لها مكانة خاصة في تاريخ وثقافة العرب، حيث تعد عنصرًا أساسيًا في حياتهم، كما تتميز الخيول العربية بمعاييرها الفريدة؛ لأن جمال الخيل ونسبها وأداءها معايير رئيسية، وتُستخدم الخيول العربية في مجموعة واسعة من الأغراض، بدءًا من الفروسية والرياضة إلى استخدامات عملية في الحياة اليومية، تُقدر الخيول العربية لقدرتها على التحمل والسرعة، مما يجعلها مثالية لسباقات الخيول والرحلات الطويلة في الصحراء، بالإضافة إلى ذلك، كانت الخيول تلعب دورًا حيويًا في الماضي في المعارك والرحلات التجارية في الصحراء، تظهر هذه الحيوية في الأدب العربي حيث يُشدد على جمال وفاء الخيل وقوتها، ويمكننا القول: بأن الخيل تمثل في ثقافة العرب مزيجًا فريدًا من الجمال والأداء، وتظهر كرمز للقوة والأصالة في حياتهم. وفي مجتمع يؤمن بقيم الفروسية وخلقها كان اقتناؤها وارتباطها دليلًا على الثراء والنعمة، ومظهر من مظاهر العظمة، فكانت مطيتهم إلى ساحات الوغى وميدان العراك، وفي أيام السلم كانت تروح عنهم الضيق والإرهاق، وهي تعدو في حلبات السباق، وكانت مراكبهم إلى مراتع الصيد، ولولاها لما استطاعوا مطاردة الغزلان والحمر، والبقر الوحشية، وغيرها من الحيوانات المتوحشة، ولما أثروا أدب العرب بشعر رصين معبر.

إن استخدامات العرب للخيل متعددة، وهذا سبب رئيس في الاهتمام بها، وقد علق أبو العلاء المعري على اهتمام العرب بالخيل وإيثارهم لها بكل ثمين وعزيز، فقال على لسان الصاهل:« نحن معاشر الجبهة أولى بالعِراب من كل حيوان، وفينا ورد جيد الشعر العتيق، وإيانا ذكرت الفرسان السالفة والفصحاء بالإيثار على العيال والولد والأم والفرس، وفي ذلك يقول الأخطل: (النصيح، 1416، صـ 26)

إذا ما الخيل ضيّعها أناس ضممناها فشاركت العيالا

نُقاسِمُها المعيشةَ كلَّ يوم ونُلبِسُها البراقعَ والجِلالا

وما يؤكد أهمية الخيل، ويدل على رفعة مكانتها في الجاهلية وصدارتها، أنهم كانوا لا ييسرون بها مهما كانت الظروف، ودفعتهم الحاجة لذلك فقد كانوا ييسرون الإبل في الغالب وبما هو دون الخيل مكانة من أليف الحيوان، وعلقمة بن عبدة الفحل يؤكد ذلك في قوله (النصيح، صـ30)

وقدْ عِيسَرَتْ إِذَا مَا الْجُوعُ كَلَفَهُ معقب بن قداح النبع مفروم

لو يسيرونَ بِخيل بيسرَتْ بمَا وَكُلُّ مَا يَسر الأَقْوَامُ مَقْرَوُمُ

كما يؤكد الأحمر بن هنيء الليثي صحة اهتمام عرب الجاهلية بالخيل لأهميتها ومكانتها الضاربة في نفوسهم، والجارية مجرى الدم في عروقهم ويعتبرها أما يجب تبجيلها وإيثارها.(التميمي، صـ 3)

ويتضح مما سبق أن العربي الجاهلي أحب فرسه حبا شديدا وصل به إلى حد المبالغة أحيانًا، ومن الأسباب التي دفعت به إلى هذا الحب الجنوني أحيانًا، وإلى درجة التقديس في أحايين أخرى هو حماية المرأة في البيئة يكثر فيها العداء والظلم، وتسبي لنساء وتعامل معاملة الغنائم في التوزيع وذلك إذلال شديد لذويهن، والجواد الذي يحمي المرأة من السبي والعار وكل أنواع التنكيل، يستحق العناية والرعاية والتقدير. (هذيل الفزاري، ص11)

وراحوا يتغنون بها في أشعارهم ويذكرونها في محافلهم وأنديتهم ويتحدثون عنها في ويتنافسون ويتباهون في ارتباطها وحسن صيانتها ومعاملتها، وبسببها أزهقت أرواح بريئة، ومن أجلها جرت أودية من الدماء والدموع، ويتم الكثير من الأبرياء، ورملت الكثيرات، بسبب حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل اللهم ذلك التعصب الذي كان متفشيًا بين أوساطهم والذي من أسبابه الخيل أحيانًا، والتاريخ الجاهلي حافل بمثل هذا، كما أنّ والفروسية لفظة تدل على القوة والشجاعة ونجد كل عربي يتمنى أن يتصف بها، وتصبح ملازمة له وهي ميدان للتنافس يتنافس فيها الفرسان على البقاء وإثبات الذات، لإظهار قوتهم وبراعتهم، إذ أنها تحتل مكانة عالية عند العرب، والفارس مقدم على الشاعر عندهم غالبًا، وهذا التقديم نابع من طبيعة النفس البشرية المجبولة على حب الشجاعة والإقدام.

والفروسية ثابتة ومثبتة في الشعر العربي، فلا يكاد يخلو ديوان شاعر قديم منها، فإما أن يكون هو مدارها أو يتحدث عنها كصفة لاقت صدى في نفسه فأراد الإشادة بها في شعره، ولا غرابة في ذلك .(منى بن بخيت، 2008، صـ1)، هذا ويرتبط ذكر الخيل عند العربي بعدة أمور أهمها الحرب، والصيد، والمفاخرة، ذلك أن الخيل وسيلة الفارس في الإغارة السريعة وفي مطاردة العدو، فهي العدة الحربية الأولى للعربي، كما يقول المزرد: (منى بن بخيت، صـ 37 وما بعدها)

وَعِنْدِي إِذَا الْحَرْبِ بالعَوَان تلقَحَتْ وأبْدَتْ هَوَادِيهَا الْخُطُوبُ الزَلَازِلُ

طوَالَ القِرَا قد كَادَ يَذْهَبُ كَاهِلا جَوادَ المَدَى وَالْعُقْبُ وَالْخَلْقُ كَامِلُ

وهي الوسيلة النموذجية لمطاردة الفرائس والاستمتاع بالصيد، وأكل لحوم الضباء، والوعول والحمر الوحشية، ينتقل بها أصحابها إلى أماكن الخصب ومظان الصيد، كما قال متمم، كما أنها زينتهم في المحافل عند الاجتماع للفخار أو الرهان ويرى عبد الله الطيب: «الفروسية العربية مرتبطة كل الارتباط بالشعر، وأن الشعراء أبدوا في طلب المذاهب والقيم، فإنهم أقبلوا على تجاربهم فيها يتغنون بها، ويبثون نبأها بين مجتمعهم، ويعظمون من شأنها، ولقد ارتاحوا إلى الفروسية دهرًا طويلًا لما كانوا يجدون أنفسهم بها في منزلة وسط بين الدين ذي الرهبوت والرياسة ذات الوقار»(زيد بن محمد غانم،1425،صـ 365). هذا ومما يؤكد الصورة النمطية للخيل عند العرب أن أهم فارس احتفظت به ذاكرة العرب في أجيالهم السابقة واللاحقة إلى يومنا الحاضر، هو عنترة بن شداد العبسي، الذي رفض والده الانتساب إليه بسبب الأعراف القبلية التي كانت بينهم وقتئذ، إلا إذا أظهر نجابة وشجاعة، ومن ثم لم يعترف شداد به ابنًا له إلا بعد ما أبداه من بسالة في حرب داحس والغبراء(شوقي ضيف، 2003، صـ 366)، وقد ظل يذكر هذا الجرح الذي أصابه في الصميم وفي ذلك يقول: (يوسف عبيد، ص88)

إنِّي امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مِنْصِبًا شطري وأَحْمِي سَائِرًا بِالمُنْصَل

وإذا الكتِيبَةُ أَحْجَمَتْ وتَلاحَظَتْ الفيتُ خـــيرًا مِنْ مُـعـم مخول

إنه يشير إلى كرم أصله الأبوي أو شطره الأول، بينما الثاني الذي من جهة أمه، فتنوب عنه شجاعته واقتحامه للحروب، حتى غدا في قومه خيرًا ممن عمه وخاله من ساداتهم.

المبحث الثالث: أنماط التصوير للخيل

تميز شعراء العرب بوصفهم الدقيق لكل ما يحيط بهم، وما حوته الطبيعة من نبات، وحيوان، ومظاهر الطقس وغيرها ونظرًا لارتباط حياة العربي الجاهلي بالخيل ارتباط وجود وحياة ؛ فهو حصنه في الحرب، ومطيته في السلم والصيد والسباق، فإن الفرس هو المعادل لوجود العربي الجاهلي لا يقل أهمية عن العنصر الثاني للحياة وهو الماء، وعليه فقد تعلق العربي الجاهلي بفرسه أكثر من تعلقه بما سواه، ؛لأنه معين له على معايشة الواقع الجاهلي المركب من المصاعب والمآسي والتنافس والعناء والقلق، فهو يرى في فرسه رمز الحياة التي يتشبث بها الجاهلي.

أملًا في المستقبل، ورغبة في نصيب أوفر من المناعة والحصانة، ولا سبيل للعربي أن يحظى بذلك إلا بامتلاكه واحدا من أجود الخيل، فنراه يتحرى نسبه، ويتأكد من سلامة عرقه وصفاء حسبه، وعندها يكون قد امتلك كنزًا ثمينًا، يلزمه أن يحافظ عليه؛ فهو صنو الكرامة والعزة، وقد تغنى في وصفه، وأبدع في رسمه، وممن اشتهر بوصفها أبو دواد الإيادي وطفيل الغنوي وسلامة بن جندل التميمي، وهؤلاء أكثروا من الوصف، وأجادوا وأبدعوا فأصبحوا مرجعًا لمن أراد وصف الخيل كما جاء في قول الأصمعي:" ثلاثة كانوا يصفون الخيل لا يقاربهم أحد، طفيل وأبو دؤواد والنابغة الجعدي." (سوسن البلتاجي، صـ1079)

هذا وتُعَدُّ الخيل العدة الأولى للعربي، وهي الحصن الذي يلوذ به في معاركه، وقد تراءت لنا تلك الصورة في النص القائل: (سوسن البلتاجي، صـ1079)

أوْحَشتْ من سَروبِ قومي تعار فأرومٌ فشابةٌ فالسِّتارُ

بعد ما كان سرْبُ قوميَ حينًا لهمُ الخيلُ كلّها والبحارُ

ربُّما الجاملُ المؤبّل فيهمْ وعناجيجُ بينهُنّ المهارُ

وفي موضع آخر يقول عنترة: (نور الدين عرامي، صـ 51)

والخيل تعْلَمُ والفَوارِسُ أَنَّني والخَيْلُ عابسة الوُجوه كأَنَّما

فرَّقْتُ جَمْعَهُمْ بِطَعْنَةِ فَيْصَل تُسْقَى فَوارِسُها نقيعَ الحَنْظَلِ

فهو هنا يجسد قوته التي استمدها من قوة خيله، وبهاتين القوتين استطاع أن يفرق ويشتت جمع أعدائه باقتحامه العنيف وجندلته للكماة بطعان سيفه، حتى ترى خيل الأعداء ساهمة الوجوه تائهة حيارى كأنما سقيت من ماء مرارته مرارة الحنظل، مما قلل قوتها وجعلها ضعيفة، أما م ضرباته وسطوته.

وينتقل إلى الحديث في موضع آخر إذ يقول: (نور الدين عرامي، صـ 51)

يُنادونَنِي وحَيْلُ المَوْتِ تجري أثيرُ عجَاجها والخَيْلُ تَجْرِي

وارْجِعُ وَهِيَ قَدْ ولَّت خِفَافًا محلك لا يُعادِلُهُ مَحَلُ

ثقالًا بالفوارس لا عمل مُجِيرَةً مِنَ الشَّكْوَى تَكِلُّ

وهنا تراه يقول إن قومه ينادونه ويستنجدون به لقوته وبطولته، وأنهم لا يستطيعون الاستغناء عنه، وأن تواجده في المعركة لا يعادله تواجد، وبهذا يقرون بضعفهم وقوته أمام الفرسان، وبفرسه يثير عجاج الأرض وغبارها في كره وفره دون كلل ولا ملل، وأن الصورة التي تأتي عليها خيل الأعداء لحظة مجيئها، غير الصورة التي تغدوا عليها، فهي تأتي مثقلة بما تحمله من فوارس وعتاد ومؤنٍ، وتغدوا خفيفة عارية المتن حيرى شاكية باكية مالة مما أصابها من تحت ضربات سيفه الموجعة.

ومن القيم التأويلية لصورة الخيل الدالة على الكرم قول عنترة: (نور الدين عرامي، صـ52)

لا تذكري مهري وما أطعمته فيَكونُ جَلْدُكَ مثْل جِلْدِ الْأَجْرَبِ

ويكونُ مُرْكَبُكَ القعودُ ورَحْلُهُ وابنُ النَّعَامَةِ يَوْمَ ذَاكَ مَرْكَبِي

مهر عنترة كريم يرضى ويقبل بكل ما يقدمه له ساعة الإطعام بلا تذمر، وأنَّه مركبه في كل حين ساعة الحرب أو السلم، وكذا وقت الترحال والحل، فهو كريم ومطواع له، وصورته هذه انعكست على شخص عنترة الإنسان، وقد اكتفى الشاعر بالتلميح لصورة الكرم في جواده دون أن يصرح بها في البيتين، كما صوَّر العربي الشاعر الخيل بصور حقيقية وأخرى بيانية، مما يدل على عظمة الخيل عنده فجعلها في شعره بأوصافها الحقيقية دون دخول للمجاز فيها كما حمل لها من الصور المجازية ما يجعلها تفوق الواقع" و تتراءى لنا الصورة الحقيقية بنسبة كبيرة بما يتلاءم مع طبيعة العربي القديم، الذي يؤثر الوضوح في كل أموره، ومن الصور التي اعتمدت على اختيار اللفظ، الذي يحمل الوصف دون تدخل لضروب": (سوسن البلتاجي، صـ101)

فدلالة الكلمات واضحة على أن هذا الفرس يجمع بين امتلاء مقدمة الصدر وضمور الخصر؛ وهما من الأوصاف التي يعتد بها في الخيل العربي والإضمار من الأوصاف التي ركز عليها أبو دواد وكثر تكرارها في أغلب قصائده على اختلاف في استعمال اللفظ، وهي صفة تعكس سرعة الفرس وتمكنه من الظفر بهدفه دون عناء، وقد برز الجانب الإنساني في تصوير العرب للخيل، فظهرت صورة الرجال والنساء، وظهرت صورة الأم والمرأة العاملة، كما ظهرت صورة الرجل العامل، والرجل الحبشي والأعجمي، والرجل المجنون والسكران، والأحول، والجبان. ومن خلال هذه الصور جميعها تتكشف عقلية الشاعر ونفسيته، لكن الأمر الذي يجب أن ندركه هو أن هذه الصور لا تنبع من نفسية وعقلية واحدة، بل نفسيات وعقليات مختلفة لكنها تجتمع تحت إطار ثقافي واحد.

ومن الصور المجازية قول عنترة بن شدَّاد:

يَدْعُونَ عنتَرَةَ والرمَاحُ كأَنَّها أشطان بئر في لبانِ الأَدهم.

هذا البيت تضمن صورة تشبيهية تمثلت في قوله:" كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم"، فالمشبه هنا هي الرماح المستعملة في المعركة والمشبه به هي الحبال المعدة لجلب الماء من قعر البئر، وأداة التشبيه كأنَّ ووجه الشبه يتمثل في التعلق والتدلي، وهذا تشبيه مرسل، لذكر الأداة، فيه، وقد شبه الرماح المتطايرة ساعة المعركة والمنهالة عليه، وقد علقت بصدر جواده بالحبال المتدلية في البئر لجلب الماء الذي يرمز للحياة، وكذلك الفارس وجواده هنا يجلبان الحياة الكريمة للقبيلة، بسبب ما يتمتعان به من قوة وصبر ساعة المعركة وجندلة الفرسان (عبدالعزيز عتيق، ص82)

ومن الصور المجازية الاستعارية قول عنترة أيضًا:

فازور من وقع القنا بلبانهِ وشكا إلى بعبرة وتحمحم

تضمن البيت استعارة وهي من باب التشخيص، حيث شخص عنترة الجواد الذي ركبه، ذلك الحيوان الصامت العاجز عن الكلام، ومنحه صفة الإنسان المتذمر من الشيء فراح يشكو منه بسكب العبرات وتراسل النبرات الصوتية وتواليها، فهو هنا حذف المشبه به وهو (الإنسان) وأبقى لازمًا من لوازمه وهي (الشكوى) فأخذ يشتكي ويتألم بدمعه وتحمحمه، ويكاد ينطق مضفيًا عليه صورة الإنسان" وهنا مزج عنترة بين ذاته وذات حصانه في المعاناة من أهوال المعركة، صفة الشريك في البطولة وتحقيق النصر، وخلع صورة الإنسان الذي يغشى الوغى، ويرى في المعركة عذابًا وألمًا، وهذا مشهد يستحق الإعجاب بحق وهذه الصورة من باب الاستعارة المكنية" (نور الدين عرامي، صـ 70)

الخاتمة

بعد دراسة موضوع:(الخيل عند العرب بين الوصفية والمعيارية)، يمكننا تحديد أهم النتائج التي توصل إليها البحث وهي:

1- الإنسان العربي أبيّ بطبعه يمتلك العزة والشموخ، وهذا جعله يعتز بالخيل اعتزاز الابن والأهل.

2- عُرف العرب بالفصاحة والقدرة على الابتكار، مما جعلهم يبرعون في وصف الخيل وتعديد أسمائها، وصفاتها حسب الحالة التي تكون الخيل فيها.

3- تعارفت البيئة العربية في الجاهلية على منظومة جمالية في وصف الخيل، تغنى بها الشعراء، فصارت موروثًا اجتماعيًا فنيًا.

4- تباينت صورة الخيل في الشعر العربي بين الصورة الحقيقية والصورة المجازية.

5- من الشعراء الذين لهم باع كبير في وصف الخيل والتغني بها: عنترة بن شداد، وقد ظهر هذا في شعره بشكل بارز.

مصادر ومراجع الدراسة

القرآن الكريم

1- إبراهيم محمد أبو الفضل، وعبد المجيد قطامش، 1964م، جمهرة الأمثال للعسكري، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة.

2- ابن رشيق، أبو علي الحسن النهرواني،1963م، العمدة في محاسن الشعر وآدابه وناده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ط3، السعادة، مصر، ج1.

3-

4- ابن الأعرابي، أسماء خيل العرب وفرسانها، رواية الجواليقي، تحقيق حاتم الضامن، دار البشائر، دمشق، سورية.

5- ابن الكلبي، نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها، رواية الجواليقي، (ت540هـ)، تحقيق حاتم الضامن، دار البشائر، دمشق سورية.

6- ابن الكلبي، 1384-1965م، أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام، ت: أحمد زكي، القاهرة.

7- ابن منظور، 2003م، لسان العرب، مراجعة وتصحيح بمعرفة نخبة من السادة المتخصصين، دار الكتب، القاهرة.

8- أبو عبيدة، 1905م، النقائض، بيفان، مكتبة المثنى- بغداد- عن طبعة ليدن.

9- اسحاق محمد، 1305هـ، كتاب بكر وتغلب، مطبعة نخبة الأخيار.

10- الأصبهاني حمزة بن الحسن، 1971، الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، ت: عبد المجيد قطامش، دار المعارف، القاهرة.

11- الأصغر الأخفش، 1984، الاختيارين، ت: فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

12- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، 1420 هـ، محاضرات الأنباء وحوارات الشعراء والبلغاء، ط1، شركة دار الأرقم، ج 1.

13- الأصمعي أبي سعيد عبد الملك بن قريب، الخيل، تحقيق الضامن، دار البشائر سورية.

14- الأندلسي علي بن عبد الرحمن بن هذيل الفزاري، حلية الفرسان وشعار الشجعان، (ت بعد ٧٦٣هـ)

15- الأندلسي عبد ربه، ١٤٠٤ هـ، العقد الفريد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى.

16- التاجي محمد بن كامل، 1401-1981م، الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام، ت: عبد الله الجبوري- الرياض.

17- التميمي أبي عبيدة معمر بن المثنى،1358 هـ، الخيل، رواية أبي حاتم السجستاني، ط1، دار المعارف العثمانية، الهند.

18- حمودي القيس نوري، 1970م، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ط1، دار الإرشاد، بيروت.

19- الدغيشي حمود، 2010م، معجم الخيل العربي الأصيلة، دار جرير للنشر والتوزيع.

20- الزَّبيدي محمّد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.

21- الزمخشري،1397هـ-1977م، المستقصى، دار الكتب العلمية- بيروت.

22- السكري، 1979، شعر الأخطل، ت: فخر الدين قباوة، دار الآفاق

23- الصغاني، 1970م، التكملة، ت: عبد العليم الطحاوي وعبد الحميد حسن، دار الكتب، القاهرة.
24- الضبي المفضل، 1964م، المفضليات، ت: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف- القاهرة.
25- ضيف شوقي، 2003، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، ج1.
26- عبيد يوسف، شرح ديوان عنترة، دار الجليل، لبنان، بيروت.
27- عرامي نور الدين، 1434/ 2012م، صورة الخيل في الشعر الجاهلي، ديوان عنترة بن شداد، ماجستير، إشراف: حياة معاش
28- العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1974م.
29- عسيلان عبد الله، 1401-1981، حماسة أبي تمام، جامعة الإمام محمد- الرياض.
30- علي جواد، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، الطبعة: الرابعة
31- غانم زيد بن محمد، 1425، الصورة الفنية في المفضليات، مكتبة الملك فهد الوطنية، المدينة المنورة، ط1، ج1.
32- الغندجاني الأسود، أسماء خيل العرب وأنسابها، ت: محمد علي سلطاني، مؤسسة الرسالة- بيروت.
33- الغنوي، ديوان طفيل الغنوي، 1968م، ت: محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد، بيروت.
34- قطب سيد، 2011م، في ظلال القرآن، إبراهيم حسين الشاذلي، دار الشروق، مصر، ج 3.
35- اللهيبي منى بن بخيت بن عويبد، 2008م، الفروسية في الشعر، رسالة لنيل درجة الماجستير، في الأدب العربي، إشراف الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن أحمد باقازي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
36- المرزوقي أحمد محمد،1967م، شرح ديوان الحماسة، تح: أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التليف والنشر، القاهرة.
37- الميداني، 1955م، مجمع الأمثال، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، السنة المحمدية- القاهرة.
38- النصيح حسن محمد،1416هـ، الخيل في أشعار العرب، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ط1 الرياض.
39- النويري شهاب الدين، ١٤٢٣ هـ، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى.